الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء

إعداد:

د. محمد بن عبد الله عبد الرحمن العضيبي

أستاذ مساعد بقسم الدعوة والرقابة، بكلية أصول الدين والدعوة

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أبحاث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الملخص:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن الناظر في كتاب الله ﷻ لا تخطئ عينه تكرر الاحتجاج ببشرية الأنبياء في مقام رد دعوتهم، ما يدل على أن هذه الحجة مما يجدر بالدعوة العناية بها، وأن لسمة البشرية أمورًا متعلقة بها يجدر الاستفادة منها دعويًا، وأن الله ﷻ لم يجعل ذلك عبثًا، فلو شاء لجعل النبوة في الملائكة.

وقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث: الأهمية الدعوية للإيمان ببشرية الأنبياء، وصور إنكارها، وعلاقتها بعصمتهم في الدعوة إلى الله، والثاني: الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء المتعلقة بالداعية، والثالث: الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء المتعلقة بالمدعو وبموضوع الدعوة.

وأبرز النتائج: إن الأهمية الدعوية للإيمان ببشرية الأنبياء تظهر من كثرة الأدلة لها، وكون إنكارها سببًا في الصد عن الاستجابة، وأنها جاءت في وقت مبكر من التأريخ الدعوي.

وأن لإنكارها صورًا، وأن من أبرز الثمرات الدعوية لبشريتهم المتعلقة بالداعية ذاته، إمكان وقوع الخطأ منه في دعوته وعدم العصمة، وإمكان وقوع الابتلاء في حقه وإن كان من الأولياء، ويتأكد عليه الالتزام بما يدعو إليه.

وأن أبرز الثمرات المتعلقة بدعوته: مخالطة الناس ومعرفة حاجاتهم، ووضوح مسؤولياته الدعوية، ومعرفته لحدوده وقدراته البشرية.

وأبرز الثمرات الدعوية لبشريتهم المتعلقة بالمدعو: قدرته على الاقتداء بالداعية، وعدم غلوه به، وأن الحق إذا ظهر له فلا يسعه إلا الاتباع.

وأن من أبرز الثمرات الدعوية لبشريتهم المتعلقة بموضوع الدعوة: وضوح الحجة كافٍ للاستجابة، وإدراك خطورة الشبهة على الدعوة، وافتتان مرضى القلوب بما أنزل.

الكلمات المفتاحية: بشرية الأنبياء – الدعوة – الدعاة–

مقدمـــــــــة

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (1)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡس وَٰحِدَة وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالا كَثِيرا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبا﴾ (2)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلا سَدِيدا يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ (3).

أما بعد:

فإن الناظر في كتاب الله ﷻ لا تخطئ عينه تكرر الاحتجاج ببشرية الأنبياء عليهم السلام في مقام رد دعوتهم على لسان المعارضين لها، ما يدل على أن هذه الشبهة مما يجدر بالدعوة على الله العناية بها والنظر في يتصل بها من أمور، وقد رأي الباحث أن لهذه السمة -أي البشرية- من أمور متعلقة بها يجدر الاستفادة منها في مجال الدعوة إلى الله تعالى، وأن الله ﷻ لم يجعل ذلك عبثًا، فلو شاء لجعل النبوة في الملائكة، أو لأنزل مع الأنبياء ملائكة، أو غير ذلك، مما يجعل الأمر محل عناية لدى الدعاة يجدر النظر فيه.

وهذه الدراسة ستتناول الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام، من خلال التعرف على الأهمية الدعوية للإيمان ببشريتهم، وصور إنكارها، وعلاقتها بالعصمة، ثم الثمرات الدعوية المتعلقة بالداعية والمدعو وموضوع الدعوة.

---

(1) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(2) سورة النساء، الآية: ١.

(3) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠ – ٧١..

أولاً: أهمية الموضوع:

- إن بشرية الأنبياء أحد الحجج التي تكرر احتجاج منكرو النبوة بها، مما يدل على أهمية دراستها.
- إن القرآن الكريم جاء فيه من الردود الدعوية على هذه الحجة التي ستكون محل اهتمام هذه الدراسة.
- إن لبشرية الأنبياء العديد من الثمرات المتعلقة بالداعية، كمخالطة الناس لدعوتهم وغيرها، أو متعلقة بالمدعو، كقدرته على الاقتداء بالداعية، وغيرها، أو موضوع الدعوة كوضوح الحجة، وغيرها، مما تتحدث عنه هذه الدراسة.

ثانيًا: أسباب اختيار الموضوع:

- الحاجة إلى دراسة تعنى بالثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام.
- لأهمية العناية بدراسة دعوات الأنبياء عليهم السلام فهم قدوات الدعاة إلى الله تعالى.
- اشتراك أصل بشرية الأنبياء ببشرية الدعاة مما يجدر فيه النظر إلى الأوجه الدعوية المتعلقة بها.

ثالثًا: إشكالية الدراسة:

تدور حول التعرف على الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام من حيث الأهمية، وصور الإنكار لها، وما يتصل بها العصمة، والثمرات المتعلقة بالداعية، والمدعو، وموضوع الدعوة.

رابعًا: منهج البحث:

وحيث إن هذه الدراسة من الدراسات التأصيلية فقد اعتمد الباحث فيها المنهج الاستنباطي، الذي ينطلق من العام إلى الخاص، أو من الكل إلى الجزء، وذلك من خلال استنباط الأحكام والحكم والفوائد من النصوص الشريعة ومظان ذلك من كلام أهل العلم ثم دراستها دراسة دعوية بحسب تقسيمات الدراسة.

خامسًا: أهداف الدراسة:

١. التعرف على الأهمية الدعوية للإيمان ببشرية الأنبياء عليهم السلام.

٢. التعرف على صور إنكار بشرية الأنبياء عليهم السلام.
٣. بيان علاقة بشرية الأنبياء عليهم السلام بعصمتهم في الدعوة إلى الله.
٤. التعرف على الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام المتعلقة بالداعية.
٥. التعرف على الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام المتعلقة بالمدعو
٦. التعرف على الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام المتعلقة بموضوع الدعوة.

سادسًا: حدود الدراسة:

ستكون الدراسة مقتصرة على بيان الأهمية الدعوية للإيمان ببشرية الأنبياء عليهم السلام، وصور الإنكار لها، وعلاقتها بعصمتهم، ثم تسليط الضوء على الثمرات الدعوية لها المتعلقة بالداعية، والمدعو، وموضوع الدعوة.

سابعًا: الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع والبحث في مظان الدراسات العلمية وسؤال أهل الاختصاص، تبين للباحث عدم وجود دراسة علمية تناولت موضوع الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام، مع وجود دراسات أخرى في تخصصات مختلفة تناولت موضوع البشرية بحسب التخصصات التي تنتمي إليها، أبرزها:

- بشرية الرسول ﷺ وأثرها في دراسة السنة النبوية المطهرة، للدكتور: محمد عيد، وعبد الكريم الوريكات [1]، وهي دراسة عنيت في النظر بما يتصل بمشكلات الحديث النبوي من خلال ارتباطها ببشريته عليه الصلاة والسلام، والإجابة عن شبهة رد السنة لبشريته ﷺ.
- بشرية النبي ﷺ وطعون المعاصرين في أحاديث الصحيحين، للباحث: أحمد عبد اللطيف أحمد [2]، وهي دراسة عنيت ببيان البشرية والمراد بها وحدودها،

---

(١) بحث علمي منشور، المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، الأردن، م:٥، ع:١، ٢٠٠٩م.

(٢) رسالة دكتوراه، قسم الحديث الشريف، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠١٤م.

وعدم تعارض الأحاديث التي جاء فيها مع العصمة، ورد طعون المعاصرين حول أحاديث الصحيحين المتعلقة ببشريته ﷺ.

- بشرية الرسول وأثرها في دراسة سيرته ﷺ، للباحث د. عبد الغني بن سعد الشمراني (١) وهي دراسة عنيت بأدلة البشرية، والمظاهر، ثم العصمة، ومجالاتها، وخصائص النبوة، وأثر البشرية في دراسة السيرة في الفكر والسلوك.

ولا شك أن الباحث أفاد من الدراسات المذكورة في بعض الجوانب، كطريقة العرض، وبعض طرق التقسيم، والتأصيل، إلا إن الفرق الجوهري الذي توجهت إليه هذه الدراسة هو تعلقها بالدعوة إلى الله تعالى، وما يرتبط بذلك من محاور يختلف في تناولها وتوظيفها للأدلة والشواهد والتطبيقات عما قدمته الدراسات العلمية المذكورة.

ثامنًا: التعريف بأبرز مصطلحات الدراسة:

أولاً: المراد بالدعوة: الدعوة في اللغة: الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول: دعوت أدعو دعاءً (٢).

وهي تدور حول: الطلب، والنداء، والسؤال، والحث، والاستغاثة، والأمر، والدعاء (٣).

وفي الاصطلاح: تنوعت تعريفات الباحثين في علم الدعوة حول مفهومه، من خلال تعريفات متعددة يرى الباحث أنها حققت المراد من التعريف إلا أن بعضها توسعت في

---

(١) بحث علمي، المجلة العلمية لكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق، جامعة الأزهر، م:٣٥، ع:١، ٢٠٢٣م

(٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، م عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ، ٢/ ٢٧٩.

(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ١٤/ ٢٥٧-٢٥٨، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري، دار العلم للملايين، ط١، ١٤٠٤هـ، ٢/ ٢٣٣٧

جوانب تزيد على التعريف كتناول الأهداف الدعوية، أو الأساليب والوسائل ونحو ذلك.

لذا يرى الباحث أن تعريف الدعوة في الاصطلاح، هو:

عملية تبليغ الإسلام، بالطرق المشروعة، مراعية إدراكه بصورته الصحيحة.

وفي هذا التعريف شمول للعملية الدعوية بجميع صورها، فيدخل فيها كل عملية يبلغ من خلالها الإسلام بأي وسيلة قديمة أو حديثة وبأي أسلوب كان، على أن يكون ذلك كله مشروعًا إذ الوسائل والأساليب غير المشروعة ليست داخلة في ذلك، ولابد أن تكون الدعوة مراعية إدراك المدعو لحقيقتها وبالصورة الصحيحة، حيث إن النشر الذي لا يحقق إدراك المدعو لحقيقة الدعوة يخل بها، فلا يخاطب العامي بلغة العالم، ولا الأعجمي كالعربي، ولا الصغير كالكبير ونحو ذلك، وأيضًا لا بد من كونها تنقل الإسلام بصورته الصحيحة غير مزيفة بمفاهيم مشوهة إذ إن ذلك لا يصور للمدعو حقيقة الإسلام الناصعة.

ثانيًا: المراد بالبشرية: البشرة والبشر: ظاهر جلد الإنسان، وبشرة الأرض :ما ظهر من نباتها، وما أحسن بشرتها، والبشر: الخلق[1]. قال ابن فارس: "البشرة: ظاهر جلد الإنسان، وباشر الرجل المرأة من ذلك؛ لأنه يفضي ببشرته إلى بشرتها، وسمي البشر لظهورهم." [2] والبشر: الإنسان الواحد رجلا كان أو امرأة، هو بشر، وهي بشر..[3]

قال الراغب: وعبر عن الإنسان بالبشر اعتبارا بظهور جلده من الشعر، بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر، واستوى في لفظ البشر الواحد والجمع، وثني فقال تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧]، وخص في القرآن كل موضع اعتبر من الإنسان جثته وظاهره بلفظ

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٢/ ٥٩٠

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس،١/ ٢٥١.

(٣) انظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال طبدون، ٦/ ٢٥٩.

البشر، قال عز وجل: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرا مِّن طِينٍ﴾ [سورة صاد: ٧١]، ... وعلى هذا قال: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَر مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰه وَٰحِدٞ﴾ [الكهف: ١١٠]، تنبيهًا أن الناس يتساوون في البشرية، وإنما يتفاضلون بما يختصون به من المعارف الجليلة والأعمال الجميلة، ولذلك قال بعده: ﴿ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، تنبيها أني بذلك تميزت عنكم. (١)

ثامنًا: تقسيمات الدراسة:

المقدمة، وتشمل:

- أهمية الموضوع.
- أسباب اختيار الموضوع.
- إشكالية الدراسة.
- منهج البحث.
- أهداف الدراسة.
- حدود الدراسة.
- الدراسات السابقة.
- التعريف بمصطلحات الدراسة.
- تقسيمات الدراسة، وهي:

المبحث الأول: الأهمية الدعوية للإيمان ببشرية الأنبياء عليهم السلام، وصور إنكارها، وعلاقتها بعصمتهم في الدعوة إلى الله.

المطلب الأول: الأهمية الدعوية للإيمان ببشرية الأنبياء عليهم السلام.

المطلب الثاني: صور إنكار بشرية الأنبياء عليهم السلام.

المطلب الثالث: علاقة بشرية الأنبياء عليهم السلام بعصمتهم في الدعوة إلى الله.

المبحث الثاني: الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام المتعلقة بالداعية.

---

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار القلم، الدار الشامية، دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٢٤-١٢٥.

المطلب الأول: الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام المتعلقة بذاته.

المطلب الثاني: الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام المتعلقة بدعوته.

المبحث الثالث: الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام المتعلقة بالمدعو وبموضوع الدعوة.

المطلب الأول: الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام المتعلقة بالمدعو.

المطلب الثاني :الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام المتعلقة بموضوع الدعوة

المبحث الأول

الأهمية الدعوية للإيمان ببشرية الأنبياء عليهم السلام، وصور إنكارها، وعلاقتها بعصمتهم في الدعوة إلى الله.

المطلب الأول: الأهمية الدعوية للإيمان ببشرية الأنبياء عليهم السلام.

تظهر الأهمية الدعوية للإيمان ببشرية الأنبياء عليهم السلام من خلال النظر في الأدلة المتوفرة في خطر هذه الشبهة، وكون إنكارها كان سببًا في الصد عن الاستجابة للدعاة إلى الله تعالى من الأنبياء والرسل عليهم السلام، فقد كانت عادة الأقوام القول بذلك، قال الله تعالى: **﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرا رَّسُولا﴾ [الإسراء: ٩٤]**

قال الشنقيطي: "هذا المانع المذكور هنا عادي، لأنه جرت عادة جميع الأمم باستغرابهم بعث الله رسلا من البشر"(١)، وقال ابن كثير: "وما منع الناس، أي: أكثرهم، أن يؤمنوا ويتابعوا الرسل، إلا استعجابهم من بعثته البشر رسلا كما قال تعالى: **﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُل مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِر مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٢]**"(٢)، قال ابن عاشور: "وهذه الشبهة هي سبب ضلال أكثر الأمم الذين أنكروا رسلهم"(٣)

وتزداد أهميتها بالنظر إلى تاريخها فقد جاءت بوقت مبكر من التأريخ الدعوي حيث جاءت على لسان قوم نوح عليه السلام حين صرحوا بذلك، قال الله تعالى: **﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧]**،

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عطاءات العلم الرياض – دار ابن حزم بيروت، ط٥، ١٤٤١ هـ – ٢٠١٩ م، ٣/ ١٨٥.

(٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م، ٥/ ١٢١.

(٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ط ١٩٨٤م، ١٨/٦٤.

فهذا قول الكبراء والأشراف من قوم نوح عليه السلام، وهم الملأ الذين كفروا بالله، وجحدوا نبوة نبيهم نوح، يعنون بذلك أنه آدمي مثلهم في الخلق والصورة والجنس، كأنهم كانوا منكرين أن يكون الله يرسل من البشر رسولا إلى خلقه(١).

بل لم يكتفوا بذلك فقد أخبر الله تعالى عنهم في موطن آخر في كتابه قولهم ذلك بعد أن ألبسوا عليه شبهة أخرى بأن نوحًا عليه السلام ما قال ذلك إلا لمكانة يتطلع إليها، قال الله تعالى: **﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤]**

قال ابن كثير: "يعنون: يترفع عليكم ويتعاظم بدعوى النبوة، وهو بشر مثلكم، فكيف أوحي إليه دونكم؟"(٢).

وقال ذلك أيضًا قوم صالح عليه السلام، بل اتهموا أنفسهم بالجنون إن اتبعوه على ذلك، قال الله تعالى: **﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ [القمر: ٢٣:٢٥]**

قال ابن عاشور: " والمعنى :أن صالحًا جاءهم بالإنذارات فجحدوا بها وكانت شبهتهم في التكذيب ما أعرب عنه قولهم: أبشرًا منا واحدًا نتبعه إلى آخره" وقال: "والضلال: عدم الاهتداء إلى الطريق، أرادوا :إنا إذن مخطئون في أمرنا، والسُعُر :الجنون"(٣)

وكذلك قالها قوم شعيب عليه السلام، قال الله تعالى: **﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٧٦:١٧٨]**، فكانت من إجابتهم عليهم بعد جملة من الآيات التي ذكرهم فيها بالله ﷻ: **﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦]**

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار هجر، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ، ١٢/ ٣٧٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ٤٧٢.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧/١٩٦-١٩٧.

وفرعون المتجبر من ضمن من قال أيضًا بذلك، قال الله تعالى: **﴿ثُمَّ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٥:٤٧]**

قال الرازي: "والشبهة مبنية على أمرين، أحدهما: كونهما من البشر...والثاني: أن قوم موسى وهارون كانوا كالخدم والعبيد لهم"(١)، "والعرب تسمي كل من دان لملك عابدا له"(٢)، وهذه الحجة هي سبب يحركها أمر آخر وهو الكبر، وهو ما أشار الله تعالى إليه في هذه الآيات بقوله: ﴿**فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمًا عَالِينَ**﴾؛ فقد "استكبر فرعون وملؤه عن اتباع موسى وهارون، فأفصحوا عن سبب استكبارهم عن ذلك بقولهم :﴿**أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ**﴾...والاستفهام في أنؤمن إنكاري، أي ما كان لنا أن نؤمن بهما وهما مثلنا في البشرية".(٣)

وموسى عليه السلام بذل جهدًا في نصح قومه، فحذرهم من خطر هذه الشبهة بأنها لم تنفع من قبلهم حين رددوها، بل ذكرهم بأعيانهم، ثم عمم بأوصافهم، قال الله تعالى: ﴿**أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ۞ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ [إبراهيم: ٩:١٠]**، فهذه قائمة كبرى من الأمم المحتجة بهذه الحجة الواهية بينها

---

(١) التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ٢٣/ ٢٧٩.

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن إبراهيم الثعلبي، دار التفسير، جدة – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م، ١٨/ ٥٠٢، ومعالم التنزيل، محمد الحسين البغوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٣/ ٣٦٦.

(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٨/٦٤.

موسى عليه السلام لقومه وفيها تأكيد لأهمية الدعوة إلى الإيمان بشرية الأنبياء عليهم السلام.

وقد امتد هذا الأمر من خلال القرون المتعاقبة حتى وصلت هذه الشبهة إلى كفار قريش، حيث ردوا ما أرسل به رسولنا ﷺ بدعوى بشريته، قال الله تعالى: **﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْۖ﴾ [الأنبياء: ٣]** "يعنون بذلك محمدا ﷺ"(١).

مع أنهم قد وُعظوا بالأمم من قبلهم وأن هذه الحجة لم تنفعهم، فاستحقوا بذلك العقوبة في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: **﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن: ٥:٦]**، قال القرطبي: الخطاب لقريش أي ألم يأتكم خبر كفار الأمم الماضية، فعوقبوا، ولهم في الآخرة عذاب موجع، وهذا العذاب لهم بكفرهم بالرسل حيث كانت تأتيهم بالدلائل الواضحة، فأنكروا أن يكون الرسول من البشر(٢).

وهذا يُظهر لنا أن أهل الباطل يتحججون بحجج واهية يكررونها على مدار الأزمان، وأن الردود التي جاءت في مقابلة الدعوة الإسلامية متكررة، وأن على الدعاة أن يعوا ذلك ويستعدوا له، فإن الأقوام تتشابهم ردودهم، قال الله تعالى: **﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨]**، قال ابن عثيمين: "الأولون والآخرون قلوبهم متشابهة في رد الحق وإبطاله والعناد والتعنت والجحود من أول ما بُعثت الرسل إلى خاتمهم محمد عليه الصلاة والسلام، بل وإلى يوم القيامة"(٣).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ١٦/ ٢٢٣.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م، ١٨/ ١٣٤-١٣٥

(٣) تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣ هـ، ٢/ ٢٣.

المطلب الثاني: صور إنكار بشرية الأنبياء عليهم السلام

إن لإنكار بشرية الأنبياء عليهم السلام صورًا متعددة، فهي لم تأخذ صورة واحدة عند المنكرين، وإن كانت بمجملها تدور حول إنكار بشريتهم عليهم السلام، وهي النحو التالي:

الصورة الأولى: إنكار أن يكون النبي من البشر بوجه عام.

من صور إنكار بشرية الأنبياء عليهم السلام هو إنكار ذلك بوجه عام كحجة عامة للنبوة، وقد يدل ذلك على تمام الغفلة والإعراض والانغماس في الدنيا، وأن مثل هذا الأمر لا يعنيهم لتمام انهماكهم بالدنيا وملذاتها، ولعل في مطلع سورة الأنبياء ما يشير إلى ذلك، قال الله تعالى: ﴿**ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ**﴾ **[الأنبياء: ١:٣]**

و"هذا تعجب من حالة الناس، وأنه لا ينجع فيهم تذكير، ولا يرعون إلى نذير، وأنهم قد قرب حسابهم... كأنهم للدنيا خلقوا، وللتمتع بها ولدوا، وأن الله تعالى لا يزال يجدد لهم التذكير والوعظ، ولا يزالون في غفلتهم وإعراضهم"[(١)].

وقال الله تعالى: ﴿**وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَتۡرَفۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ**﴾ **[المؤمنون: ٣٣]**

"فكذبوه وخالفوه، وأبوا من اتباعه لكونه بشرا مثلهم، واستنكفوا عن اتباع رسول بشري"[(٢)]

ولعل من ذلك قول الله تعالى: ﴿**وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا**﴾ **[الإسراء: ٩٤]**

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ٥١٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ٤٧٤.

قال القرطبي: "أي الله أجل من أن يكون رسوله من البشر"[١]

وهذه الصورة وإن كانت في بعض تفسيرات العلماء تخصص بطلب إنزال الملائكة مع الأنبياء أو بدلًا عنهم، لكني هناك تركتها على إطلاقها؛ ولأن حجج المعاندين لم تقف على تخصيص النبوة بذلك، بل امتدت إلى أمور أخرى كطلب رؤية الله ﷻ، أو طلب تكليمه إياهم، أو غيرها من الحجج التي لا تنتهي.

الصورة الثانية: أن تكون النبوة في الملائكة.

ومن الصور الإنكار هو طلب أن تكون النبوة في الملائكة بدلًا من البشر، قال الله تعالى: **﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤]**، "أي: لو أراد أن يبعث نبيا، لبعث ملكا من عنده ولم يكن بشرا"[٢]

وقال الله تعالى: **﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوّا كَبِيرا﴾ [الفرقان: ٢١]**

قال الشنقيطي: " قولهم: **﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾** قيل: فتوحي إلينا كما أوحت إليك، وهذا القول يدل له قوله تعالى: **﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾ [الأنعام: ١٢٤]**الآية، وقيل :لولا أنزل علينا الملائكة فنراهم عيانا "[٣]

الصورة الثالثة: أن يكون مع الأنبياء ملائكة

ومن الصور الدالة على ذلك هي طلب أن يكون مع النبي ملَك، وكأن ذلك فيه إشارة إلى عدم كفاية النبوة في البشر، إذ لوكان ذلك كافيًا لما تطلب الأمر نزول الملائكة معهم، قال الله تعالى: **﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام: ٨]**

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٠/ ٣٣٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ٤٧٢.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ٦/ ٣٣٥.

قال الطبري: "قال هؤلاء المكذبون بآياتي، العادلون بي الأندادَ والآلهةَ، يا محمد، لك لو دعوتهم إلى توحيدي والإقرار بربوبيتي، وإذا أتيتهم من الآيات والعبر بما أتيتهم به، واحتججت عليهم بما احتججت عليهم مما قطعتَ به عذرَهم: هَلا نزل عليك ملك من السماء في صورته، يصدّقكَ على ما جئتنا به، ويشهد لك بحقيقة ما تدَّعي من أنَّ الله أرسلك إلينا"(١).

وقال الله تعالى: ﴿**وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا**﴾ **[الفرقان: ٧]**

قال القاسمي: "ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكا، إلى اقتراح أن يكون إنسانا معه ملك حتى يتساندا في الإنذار "(٢)

الصورة الرابعة: أن تكون النبوة في العظماء.

وهذه الصورة هي نوع من إنكار نبوة بعض البشر، وهي أن تكون النبوة في العظماء وأصحاب المكانة دون غيرهم من عامة الناس أو الفقراء ونحوهم، ويلحظ في ذلك التعنت ومنازعة الله رداءه، فمقصد النبوة التسليم والانقياد، لا التشهي والعناد، ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿**وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ**﴾ **[الزخرف: ٣١]**

يعنون بعِظَمه كثرة ماله وعظم جاهه، وعلو منزلته في قومه.. وهي أن الكفار أنكروا أولا أن يبعث الله رسولا من البشر، ثم لما سمعوا الأدلة على أن الله لم يبعث إلى البشر رسولا إلا من البشر تنازلوا عن اقتراحهم إرسال رسل من الملائكة إلى اقتراح آخر، وهو اقتراح تنزيل هذا القرآن على أحد العظماء في مقاييسهم، وهذا الاقتراح يدل على شدة جهلهم، وسخافة عقولهم، حيث يجعلون كثرة المال والجاه في الدنيا، موجبا

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٩/ ١٦٠.

(٢) محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ، ٧/ ٤١٩.

لاستحقاق النبوة وتنزيل الوحي، ولذا زعموا أن محمدا ﷺ ليس أهلا لإنزال هذا القرآن عليه، لقلة ماله ﷺ. (١)

وقال مشركو قريش أيضًا: **﴿أَءُنزِلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ مِنۢ بَيۡنِنَاۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِيۚ بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ﴾ [سورة صاد: ٨]**

"أأنزل على محمد الذكر من بيننا فخصّ به، وليس بأشرف منا حسبا"(٢) ولهذا لما كانت هذه الأقوال الصادرة منهم لا يصلح شيء منها لرد ما جاء به الرسول ﷺ، أخبر تعالى عن مصدرها، وهو أنهم ﴿ **فِي شَكّٖ مِّن ذِكۡرِي**﴾ ليس عندهم علم ولا بينة، فلما وقعوا في الشك وارتضوا به، وجاءهم الحق الواضح، وكانوا جازمين بإقامتهم على شكهم، قالوا ما قالوا لدفع الحق، لا عن بينة من أمرهم، وإنما ذلك من باب الائتفاك منهم، والمعلوم أن من يتكلم عن شك وعناد، إن قوله غير مقبول، ولا قادح أدنى قدح في الحق، وأنه يتوجه عليه الذم واللوم بمجرد كلامه، ولهذا توعدهم بالعذاب فقال: ﴿ **بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ**﴾ أي: قالوا هذه الأقوال، وتجرأوا عليها، حيث كانوا ممتعين في الدنيا، لم يصبهم من عذاب اللّه شيء. (٣)

ومن ذلك قول الله تعالى: **﴿أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ﴾ [القمر: ٢٥]**

"أنكروا أن يخصه الله بالنبوة دونهم، وذلك جهل منهم، فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء أشر بطر متكبر"(٤).

ومن ذلك قول الله تعالى: **﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ سورة صاد: ٤]**

---

(١) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ٧/ ٢٥٨.

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٢٠/ ٢٦.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٧٠٩.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، ٢/ ٣٢٥.

وهذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون في الكفر المنهمكون في الغي.. وهل ترى كفرا أعظم وجهلا أبلغ من أن يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا، ويتعجبوا من التوحيد، وهو الحق الذي لا يصح غيره، ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذي لا وجه لصحته. [١]

ومجمل القول إن المعاندين حججهم الباطلة لا تنتهي، وجرأتهم على الله وعلى ما جاء عنه ﷺ ليس لها حدود، وأن الكبر متى تلبس به صاحبه أورده المهالك، فتدثر بالأباطيل ليغطي بها سوءة كبره، الذي لا يجرؤ على إعلانه، وعاش تحت غلبة عقل ضال، ونفس أمارة بالسوء، وشيطانٍ له متخبط.

---

(١) انظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، دار الريان للتراث، القاهرة – دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، ٤/٧٢.

المطلب الثالث: علاقة بشرية الأنبياء عليهم السلام بعصمتهم في الدعوة إلى الله

من المسائل المهمة المتصلة ببشرية الأنبياء عليهم السلام هي مسألة عصمتهم، فبشريتهم تجعلهم في أصل خلقتهم وما يرتبط بها السمات البشرية مساوون بصفة عامة لسائر البشر، وهذا إذا ما استثنينا صفة النبوة والرسالة، إذ هم مع نبوتهم عليهم السلام لا يخرجون عن دائرة البشرية كالملائكية **﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦]** "ما أنا إلا بشر من بني آدم مثلكم في الجنس والصورة والهيئة لست بمَلك"[(١)] فبين بشريته بقوله: **إِنَّمَا أَنَا بَشَر**، ثم في قوله "﴿ **مِّثْلُكُم**﴾ هذه توكيد لمعنى البشرية... لكنَّه يمتاز ﴿**يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُم إِلَٰه وَٰحِد**﴾... هذا هو الميزة والفرق أن محمدًا ﷺ بشرٌ يُوحى إليه"[(٢)]، وهذا الأمر مهم في بيان الخصال التي جاءت عنهم إذ معيارها المقاييس البشرية، كقول الله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيم**﴾ **[القمر: ٤٧]**، بينما ثمت أمور تختص بالأنبياء عليهم السلام يفارقون بها غيرهم من الدعاة وعامة البشر، ومنها مسألة عصمتهم عليهم الصلاة والسلام.

وسبب تعلق مسألة البشرية بالعصمة في الدعوة إلى الله هي أن البشر معرضون ببشريتهم للنقائص البشرية من النسيان والخطأ والغفلة والعجز وغيرها من سمات البشر، ثم ما ينبني عليها من الذنوب والآثام أو ما يبنى على هذه النقائص من قصور في تبليغ الدين، فلابد للأنبياء عليهم السلام من صفة تميزهم في دعوتهم، وهي العصمة.

والعصمة من أعظم الصفات التي اختص بها الأنبياء عليهم السلام، وتتضمن أمورًا منها ما اتفق أهل العلم عليه، ومنها ما اختلفوا، وهي مسائل، العصمة من الشرك، ومن الكفر، ومن الكبائر، ومن الصغائر، وفي الدعوة إلى الله وتبليغ دينه.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري،٢٠/ ٣٧٨.

(٢) تفسير القرآن الكريم-سورة فصلت-، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٧ هـ، ٣٤.

أولًا: عصمتهم عليهم السلام في دعوتهم إلى الله وتبليغهم دينه:

أهم المسائل في هذه الدراسة الدعوية هي مسألة عصمتهم في دعوتهم إلى الله وتبليغهم دينه، وقد جاءت مؤكدات متعددة في كتاب الله تبين عصمة النبي ﷺ في ذل، قال الله تعالى: **﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣:٤]**

"يوحي الله تبارك وتعالى إلى جبريل، ويوحي جبريل إلى محمد ﷺ "(١)، وقال تعالى: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]**

يقول تعالى مخاطبًا عبده ورسوله محمدا ﷺ باسم الرسالة، وآمرا له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به.. وإن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالته، (٢) وقال تعالى: **﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ الإسراء: ٧٣]**

يذكر تعالى منته على رسوله محمد ﷺ وحفظه له من أعدائه الحريصين على فتنته بكل طريق، فقد كادوا لك أمرا لم يدركوه، وتحيلوا لك، على أن تفتري على الله غير الذي أنزلنا إليك، فتجيء بما يوافق أهواءهم، وتدع ما أنزل الله إليك، فثبته الله على الحق،(٣) وقال تعالى: **﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤:٤٦]**

فلو "أتى بشيء من عند نفسه لأخذنا منه بيمينه، وقطعنا نياط قلبه وأهلكناه، وقد أعاذه الله من الركون إلى أعدائه بذرة من قلبه، ومن التقول عليه سبحانه"(٤)

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٢٢/ ٨.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/ ١٥٠-١٥١.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٤٦٣.

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، ١/ ٣٤٢.

وعصمة الأنبياء عليهم السلام في التبليغ اتفق المسلمون عليها وهي ثابتة بدليل الشرع والعقل والإجماع [١] ونقل إجماع المسلمين على ذلك ابن تيمية فقال: "فإنهم متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله"[٢] وقال: "وهم معصومون في تبليغ الرسالة باتفاق المسلمين"[٣].

والمراد من ذلك أنهم وإن وقعوا في خطأ فيما يبلغون فإنهم لا يقرون عليه، قال ابن تيمية: "والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا يستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين"[٤]، وقال: "وقد اتفقوا أنه لا يقر على خطأ في ذلك –أي: فيما يبلغه عن ربه–"[٥] وقال: "لكن ما يبلغه عن الله لا يجوز أن يستقر فيه خطأ، فإنه لو جاز أن يبلغ عن الله ما لم يقله ويستقر ذلك ويأخذه الناس عنه معتقدين أن الله قاله – ولم يقله الله – كان هذا مناقضا لمقصود الرسالة ولم يكن رسولا لله في ذلك"[٦]، وما يصدر من ذلك مما يستدركه الله فينسخه ﷺ ويحكم الله آياته، ومثل ذلك منقول نقلا ثابتا عن السلف لا يمكن القدح فيه والقرآن يدل عليه. [٧]

ثانيًا: عصمتهم عليهم السلام في غير تبليغ دين الله، وهي على صور:

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله وساعده: ابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة ،١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م، ١٠/ ٢٩٣–٢٩٥.

(٢) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م، ١/ ٢٧٠.

(٣) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، ١/ ٢٧١.

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٠/ ٢٩٠

(٥) جامع المسائل، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، دار عطاءات العلم الرياض – دار ابن حزم بيروت، ط٢، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م، ٤/٤٠.

(٦) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، دار العاصمة، السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، ٢/٣٤.

(٧) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٠/ ٢٩١.

١. العصمة من الشرك والكفر، وهي من المسائل المتفق عليها أنهم معصومون عنها عليهم السلام إلا من شذ ممن لا يعتد بخلافهم [(١)]، وقال ابن تيمية: "والأنبياء كلهم منزهون عن الشرك"، قال الله تعالى: **﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]**، "أي لو عبدوا غيري لحبطت أعمالهم، ولكني عصمتهم"[(٢)]، وقال تعالى: **﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]**، "هذا الكلام من باب التعريض لغير الرسل؛ لأن الله – سبحانه – قد عصمهم عن الشرك"[(٣)]، وهذه المسألة بينة واضحة لا يحتاج معها إلى مزيد بيان؛ لكونها خارجة عن مقتضى النبوة، بل هي مُخرجة عن دائرة الإسلام، ولذا نجد أن العلماء بينوا المراد في الآيات السابقة من بيان خطر الشرك لا عن إمكان وقوعه من الأنبياء عليهم السلام.

٢. العصمة من الكبائر، وهي أيضًا محل اتفاق بين المسلمين إلا من شذ ممن لا يعتد بخلافه قال في المسودة: "الأنبياء معصومون من الكبائر بإجماع الأمة إلا قوما لا يعتد بخلافهم"[(٤)]، وقال القاضي عياض: " فأجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات"[(٥)]، وحكاه المازري: "والمعاصي ضربان كبائر

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، دمشق – بيروت، ط٢، ١٤د٠٢هـ، ١/ ١٧٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٧/ ٣٤.

(٣) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١، – ١٤١٤ هـ، ٤/ ٥٤٤، وانظر: معالم التنزيل، البغوي، ٤/٩٩، ومحاسن التأويل، القاسمي، ٨/ ٢٩٥.

(٤) فتح القدير، الشوكاني، ٤/ ٥٤٤، وانظر: معالم التنزيل، البغوي، ٤/٩٩، ومحاسن التأويل، القاسمي، ٨/ ٢٩٥.

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، دار الفيحاء، عمان، ط٢، ١٤٠٧ هـ، ٢/ ٣٢٧.

وصغائر، فهو ﷺ معصوم من الكبائر بالإجماع"[١]، وقال ابن تيمية في ذكر الخلاف في هذه المسألة: "فإن القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام وجميع الطوائف حتى إنه قول أكثر أهل الكلام كما ذكر " أبو الحسن الآمدي " أن هذا قول أكثر الأشعرية وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول"[٢]

٣. العصمة من الصغائر، فإن السلف على إمكان وقوعهم في الصغائر مع عدم الإقرار عليها والتوبة منها، قال ابن تيمية: "وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر ولا يقرون عليها ولا يقولون إنها لا تقع بحال"[٣]، وقال: "وأما السلف وجمهور أهل الفقه والحديث والتفسير وجمهور متكلمي أهل الحديث من أصحاب الأشعري وغيرهم فلم يمنعوا الوقوع إذا كان مع التوبة، كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة"[٤]، وقال : "وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها ومن اتبعهم على ما أخبر الله به في كتابه وما ثبت عن رسوله من توبة الأنبياء عليهم السلام من الذنوب التي تابوا منها وهذه التوبة رفع الله بها درجاتهم فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وعصمتهم هي من أن يقروا على الذنوب والخطأ"[٥].

٤. عصمتهم من العوارض البشرية، وهذه منتفية إذ هي سمة بشريتهم وبها تتبين حقيقتها، كالسهو والغضب، والنسيان، ونحو ذلك، ومما يدل على ذلك أن النبي ﷺ حينما زاد أو نقص في الصلاة فلما سلم قيل له :يا رسول الله، أحدث في الصلاة

(١) نقل ذلك عنه النووي، في: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢، ١٥٨/٧.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٤/ ٣١٩.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٤/ ٣٢٠، وربما تكون عبارة: "الإقرار على" زائدة.

(٤) جامع المسائل، ابن تيمية، ٤٠/٤.

(٥) جامع الرسائل، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، المحقق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء – الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ١/ ٢٦٩.

شيء؟ قال :"وما ذاك" قالوا :صليت كذا وكذا، فثنى رجليه، واستقبل القبلة، وسجد سجدتين، ثم سلم، فلما أقبل علينا بوجهه قال:" إنه لو حدث في الصلاة شيء لنبأتكم به، ولكن، إنما أنا بشر مثلكم، أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني.." (١) فصرح هنا بالنسيان وربط ذلك ببشريته ﷺ، وفي الغضب قال: " اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر، وإني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه، فأيما مؤمن آذيته، أو سببته، أو جلدته فاجعلها له كفارة، وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة"(٢) وهنا أيضًا نجده ﷺ صرح بإمكان الغضب منه وعلل ذلك ببشريته ﷺ، وغيرها من الأدلة والشواهد منه ﷺ أو من غيره من الأنبياء والمرسلين، فموسى رجع **﴿إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ﴾ [طه: ٨٦]**، وأيضًا جاء عنه: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ﴾ [طه: ٦٧]، وإبراهيم عليه السلام مثل ذلك: **﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ [الذاريات: ٢٨]**، ومن ذلك: **﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا﴾ [الكهف: ٢٣:٢٤]**

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، ح: ٣٩٢، ١/ ١٥٦.

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة الآداب، باب: من لعنه النبي ﷺ، ح: ٢٦٠١، ٨/٢٥.

المبحث الثاني

الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام المتعلقة بالداعية

إن الناظر في موضوع الشبهات التي أثارها المشركون حول بشرية الرسل عليهم الصلاة والسلام ليجدها تتضمن العديد من الثمرات التي يستفاد منها في مجال الدعوة إلى الله تعالى، وهذه الثمار نجدها متضمنة لكون الأنبياء من البشر، أو من خلال ما ذكره الله ﷻ في كتابه حينما ساق هذه الشبهة، ومن هذه الثمرات ما يتعلق بالداعية إلى الله تعالى وهي على النحو التالي:

المطلب الأول: الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام المتعلقة بذاته

أولًا: إمكان وقوع الخطأ والزلل في دعوته وعدم العصمة في ذلك.

إن من الأمور التي جاء الكلام فيها حول بشرية الأنبياء عليهم السلام هو ما يتعلق بعصمتهم وإمكان وقوع الخطأ منهم من عدمهم بحسب التفصيل السالف ذكره في المبحث الأول، وهذا يثمر لدينا العديد من الأمور منها، أن ثمت فرق بين الأنبياء عليهم السلام والدعاة إلى الله تعالى في جانب العصمة، فإن كان الأنبياء معصومين عن الكبائر وعن الإقرار على الصغائر مع التوفيق للتوبة منها، وعن الخطأ في التبليغ، فإن الدعاة إلى الله تعالى ليسوا كذلك، فالخطأ منهم وارد سواءً في الكبائر أو الصغار بل وفي جانب الشرك بالله ﷻ، وفي التبليغ عنه تعالى، مما يجعل كونهم قدوة مطلقة ممتنع، لكنهم هم أولى الناس بالقرب من الحق والسنة لكونهم الداعون إليها، وإذا قلنا أن الأنبياء قد يقع منهم الخطأ إما في الصغائر مع عدم الإقرار والتوبة، أو ورود بعض الأمور الجبلية عنهم كالخيفة التي أوجسها إبراهيم عليه السلام عند مجيء الملائكة، أو غضب موسى عليه السلام، أو السهو كما سهى النبي ﷺ في الصلاة، فإن الدعاة هم أولى بذلك لكونهم بشرًا قد جردوا من النبوة والرسالة.

ثانيًا: إمكان وقوع الابتلاء في حق الداعية وإن كان من الأولياء.

من الأمور التي تتعلق ببشر الأنبياء عليهم السلام هو جواز الابتلاء في حقهم، فعن مصعب بن سعد، عن أبيه قال:" قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد

بلاء؟ قال :الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة"،[١] ولذا نجد النبي ﷺ قد سحر، فعن عائشة قالت :سحر النبي ﷺ حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، حتى كان ذات يوم دعا ودعا، ثم قال" :أشعرت أن الله أفتاني فيما فيه شفائي، أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال أحدهما للآخر :ما وجع الرجل؟ قال :مطبوب[٢]، قال :ومن طبه؟ قال :لبيد بن الأعصم، قال :فيم ذا؟ قال :في مشط ومشاقة[٣]، وجف[٤] طلعة[٥] ذكر، قال :فأين هو؟ قال :في بئر ذروان"، فخرج إليها النبي ﷺ ثم رجع، فقال لعائشة – حين رجع" :نخلها كأنها رءوس الشياطين"، فقلت :استخرجته، فقال" :لا، أما أنا فقد شفاني الله، وخشيت أن يثير ذلك على الناس شرا"، ثم دفنت البئر "[٦].

ولا يظن ظان أن ذلك نقص في حقهم عليهم السلام، يقول القاضي عياض: "قد قدمنا أنه ﷺ وسائر الأنبياء والرسل من البشر، وأن جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الآفات والتغييرات والآلام والأسقام وتجرع كأس الحمام ما يجوز على

(١) سنن الترمذي، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الصبر على البلاء، ٤/ ٢٠٣، ح: ٢٣٩٨، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) الطب هنا: السحر، كنوا بالطب عن السحر؛ تفاؤلا بالبرء. انظر: النهاية في غريب الحديث، مادة: طبب.

(٣) مشاقة: هي المشاطة، وهي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التسريح. انظر: النهاية في غريب الحديث، مادة: مشق.

(٤) جف: الجف: وعاء الطلع، وهو الغشاء الذي يكون فوقه. انظر: النهاية في غريب الحديث، مادة: جفف.

(٥) طلعة: الطلع: ما يطلع من النخلة ثم يصير ثمرا إن كانت أنثى، وإن كانت النخلة ذكرا لم يصر ثمرا، بل يؤكل طريا. انظر: المصباح المنير، مادة: طلع.

(٦) رواه البخاري، كتب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ١٠/ ٢٣٢، ح: ٣٢٧٤، ومسلم، كتاب السلام، باب السحر، ٧/ ١٤، ح: ٢١٨٩.

البشر، وهذا كله ليس بنقيصة فيه؛ لأن الشيء إنما يسمى ناقصا بالإضافة إلى ما هو أتم فيه وأكمل من نوعه وقد كتب الله على أهل هذه الدار فيها يحيون، وفيها يموتون، ومنها يخرجون ... فقد مرض ﷺ، واشتكى وأصابه الحر والقر، وأدركه الجوع والعطش، ولحقه الغضب والضجر، وناله الإعياء والتعب، ومسه الضعف والكبر، وسقط فجحش شقه، وشجه الكفار، وكسروا رباعيته، وسقي السم، وسحر، وتداوى، واحتجم، وتنشر، وتعوذ، ثم قضى نحبه فتوفي ﷺ، ولحق بالرفيق الأعلى، وتخلص من دار الامتحان والبلوى، وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها، وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم فقتلوا قتلا، ورموا في النار، ونشروا بالمناشير، ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الأوقات، ومنهم من عصمه..."[١]

وهذا الذي كان لهم من تمام حكمة الله "ليظهر شرفهم في هذه المقامات، ويبين أمرهم، ويتم كلمته فيهم، وليحقق بامتحانهم بشريتهم، ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم، ضلال النصارى بعيسى بن مريم، وليكون في محنتهم تسلية لأممهم ووفور لأجورهم عند ربهم.." [٢]

والدعاة هم على طريق الأنبياء بدعوة الناس إلى الخير والهدى، ومن ولجه لا بد له أن يدرك أن ثمت ابتلاءات قد تحفه، وهذا الذي أدركه الدعاة إلى دين الله، فقد جاء عن الإمام الشافعي أنه رجلًا سأله "فقال يا أبا عبد الله أيما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلي فقال الشافعي لا يمكن حتى يبتلى فإن الله ابتلي نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلما صبروا مكنهم فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة"[٣]، وبين سبب ذلك ابن القيم، فقال: "والناس لهم إرادات وتصورات يطلبون منه أن يوافقهم عليها وإن لم يوافقوهم آذوه وعذبوه وإن وافقهم حصل

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى السبتي، دار الفيحاء، عمان، ط٢، ١٤٠٧ هـ، ٢/ ٤٠٦ – ٤٠٧.

(٢) المرجع السابق ٢/ ٤٠٨ – ٤٠٩.

(٣) نقله ابن القيم ولم أجد له مصدرًا آخر: الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م، ٢٠٨.

له الأذى والعذاب تارة منهم وتارة من غيرهم ومن اختبر أحواله وأحوال الناس وجد من هذا شيئا كثيرا "(١)

ولولا بشرية الأنبياء وما يعترض لهم من الابتلاءات في دعوتهم لكان ذلك ممتنعا ظهوره للدعاة من بعدهم، فقد تمر بالدعاة من الأحوال ما يفقدون معه الصبر في دعوتهم، فيجدون من المثبتات في صبر أنبيائهم على مثلها، وهذا يجعلنا ندرك أهمية كونهم بشر إذ هم القدوات في صبرهم واحتسابهم الأجر، وحسن تعاملهم مع تلك الأقدار، وقدرة الدعاة على إدراك ذلك لما تربطهم بهم من صفات البشرية التي يدركون فيها حقيقة مشاعرهم وظروفهم، قال ابن القيم: "إنه سبحانه كما يحميهم ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم ليستوجبوا كمال كرامته، وليتسلى بهم من بعدهم من أممهم وخلفائهم إذا أوذوا من الناس، فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء، صبروا ورضوا وتأسوا بهم"(٢)

ثالثًا: تأكد التزامه بما يدعو إليه.

عند النظر في بشرية الأنبياء عليهم السلام نجدهم مع بشريتهم التزموا الحق الذي جاؤوا به، وكانوا أكثر الناس حرصًا على تجنب الآثام والمعاصي، وإن قلنا في حقهم العصمة بحسب ما تم تفصيله، إلا إن بشريتهم تقضي الاقتداء بهم في ذلك لدخولها في عموم الاقتداء الواجب على كل مسلم، ولدخولها في الخصوص المتعلق بالتزام الداعي ما يدعو إليه، قال تعالى: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢:٣]**

قال الطبري: "يأيها الذين صدقوا الله ورسوله لمَ تقولون القول الذي لا تصدّقونه بالعمل، فأعمالكم مخالفة أقوالكم"(٣)

---

(١) الفوائد، ابن القيم، ٢٠٨.

(٢) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم الرياض – دار ابن حزم بيروت، ط٥، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م، ٢/٧٤٥.

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٢٢/ ٦٠٦.

والأدلة في هذا المعنى متوافرة، قال الله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]

وقوله حكاية عن شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ [هود: ٨٨]

قال الشنقيطي في هذه الآية: "ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة عن نبيه شعيب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، أنه أخبر قومه :أنه إذا نهاهم عن شيء انتهى هو عنه، وأن فعله لا يخالف قوله، ويفهم من هذه الآية الكريمة أن الإنسان يجب عليه أن يكون منتهيا عما ينهى عنه غيره، مؤتمرا بما يأمر به غيره"(١)

وقد شدد في ذلك ابن القيم فقال عن الدعاة الذين تخالف أفعالهم أقوالهم:" علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم فكلما قالت أقوالهم للناس هلموا قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم فلو كان ما دعوا إليه حقا كانوا أول المستجيبين له فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع الطرق"(٢).

وتعلق هذا ببشرية الأنبياء عليهم السلام هو أن هؤلاء بشر كسائر البشر من الدعاة إلى الله تعالى لهم اختيار وإرادة كما جاء عن آدم عليه السلام حيث أكل من الشجرة، وما جاء عن نوح عليه السلام في سؤاله ربه عن ابنه، وما جاء عن إبراهيم عليه السلام والكذابات، وموسى عليه السلام وقتله القبطي، ونحو ذلك، بل في قصة يوسف شاهد يُظهر لنا قوة الداعي للذنب مع توفيق الله لنبيه بالثبات على الطاعة، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]

"وقد ذكر الله سبحانه عن يوسف الصديق ﷺ من العفاف أعظم ما يكون، فإن الداعي الذي اجتمع في حقه لم يجتمع في حق غيره، فإنه ﷺ كان شابا، والشباب مركب الشهوة. وكان عزبا، ليس عنده ما يعوضه، وكان غريبا عن أهله ووطنه، والمقيم بين

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ٣/ ٥٤.

(٢) الفوائد، ابن القيم، ٦١

أهله وأصحابه يستحيي منهم أن يعلموا به، فيسقط من عيونهم، فإذا تغرب زال هذا المانع، كان في صورة المملوك، والعبد لا يأنف مما يأنف منه الحر وكانت المرأة ذات منصب وجمال، والداعي مع ذلك أقوى من داعي من ليست كذلك، وكانت هي المطالبة، فتزول بذلك كلفة تعرض الرجل، وطلبه، وخوفه من عدم الإجابة، وزادت مع الطلب الرغبة التامة والمراودة التي يزول معها ظن الامتحان والاختبار؛ ليعلم عفافه من فجوره، وكانت في محل سلطانها وبيتها، بحيث تعرف بحال وقت الإمكان ومكانه الذي لا تناله العيون، وزادت مع ذلك تغليق الأبواب؛ لتأمن هجوم الداخل على بغتة، وأتته بالرغبة، والرهبة، ومع هذا كله فعف لله، ولم يطعها، وقدم حق الله، وحق سيدها على ذلك كله، وهذا أمر لو ابتلي به سواه؛ لم يعلم كيف كانت تكون حاله." (١)

قال ابن تيمية: "ويوسف ﷺ صبر على الذنب مطلقا ولم يوجد منه إلا هم تركه لله كتب له به حسنة"(٢).

وهذا يسوقنا لإدراك أهمية امتثال الدعاة بما عليه الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من التزام ما يأمرون الناس به، فمع بشرية الأنبياء عليهم السلام التي ركب فيه جوانب النقص والضعف، إلا إنهم اجتهدوا في التزام ما أمرهم الله به أو نهاهم عنه، وعلى الدعاة اقتفاء أثرهم، والسير على نهجهم.

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم الرياض – دار ابن حزم بيروت، ط٤، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م، ٤٤٢-٤٤٣.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٧/ ٣٠.

المطلب الثاني: الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام المتعلقة بدعوته

أولًا: مخالطة الناس ومعرفة حاجاتهم.

من الجوانب المتعلقة ببشرية الأنبياء عليهم السلام ما يتعلق بخلطتهم للناس، والعيش معهم، والضرب في الأسواق، وأكلهم للطعام، وهذا مما تعنت به الكفار، قال الله تعالى: ﴿**وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا**﴾ [البقرة: ٧]

قال الطبري: "يعنون محمدا ﷺ، الذي يزعم أن الله بعثه إلينا يأكل الطعام كما نأكل، ويمشي في أسواقنا كما نمشي. ﴿لولا أنزل إليه﴾ .يقول :هلا أنزل إليه ملك إن كان صادقا، من السماء، فيكون معه منذرا للناس، مصدقا له على ما يقول، أو يلقى إليه كنز من فضة أو ذهب، فلا يحتاج معه إلى التصرف في طلب المعاش، ﴿**أو تكون لك جنة**﴾ .يقول :أو يكون له بستان ﴿**يأكل منها**﴾"[١]

وهذا الذي أنكروه هو من كمال دعوة الأنبياء عليهم السلام، فإن الدعوة إلى الله تحتاج إلى ذهاب ومجيء وخلطة، وحاجات الأنبياء البشرية تقضي منهم فعل ذلك، فيروا حاجات الناس وما عليه أحوالهم، وما تقتضيه طبائعهم، فيتسنى لهم دعوتهم، قال القرطبي: " وكان عليه السلام يدخلها لحاجته، ولتذكرة الخلق بأمر الله ودعوته، ويعرض نفسه فيها على القبائل، لعل الله أن يرجع بهم إلى الحق"[٢] قال ابن عثيمين: "نرد عليهم بأن هذا مما يؤيد كونه رسولا، لا مما يناقض كونه رسولا؛ لأن هذا يدل على تواضعه وعلى محبته لأن يكون بين أمته يفيدهم ويستفيدون منه، إذن فهذه كونها دليلا على الرسالة أوضح من كونها مانعا من الرسالة". [٣]

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ١٧/ ٤٠٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٣/ ٥

(٣) تفسير القرآن الكريم –سورة الفرقان–، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٦ هـ، ٥١.

فإذا كان هذا هو عمل أكمل الخلق، وأقربهم إلى الله، مع صدور شبهات الكفار تجاههم، فغيرهم من باب أولى ممن سلكوا هذا المسلك في دعوة الناس وتعليهم ودلالتهم إلى الله، ولو كان الدعاة إلى الله في معزل عن الناس لا يدركون حاجاتهم، ولا يرعون ظروفهم، فقد تمر بالناس من مقتضيات دعواتهم ما هم غافلون عنه، فإن الداعية يراعي ما يحتاجه الناس، وما يمر عليهم من الآفات والظروف ما يجعلهم يبلغون مراد الله فيها، فيقربونهم إليه بحسب مقتضيات تلك الأحوال.

ثانيًا: وضوح المسؤوليات الدعوية.

من الأمور المهمة التي ينبغي للدعاة إدراكها، هي أن الأنبياء عليهم السلام لم يشغلهم تشغيب أقوامهم بشبهة بشريتهم عن القيام بمسؤوليتهم الدعوية؛ وذلك لأنهم يعرفون مهامهم بوضوح، بالإضافة إلى أن هذا الحق الذي معهم يتضمن الإجابة عن الشبهات والتساؤلات لمن كان له قلب يدرك، ونفس لا تكابر، قال الله تعالى: ﴿**فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَة مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَة مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ**﴾ **[هود: ٢٧:٢٨]**

قال الرازي: قولهم: ما نراك إلا بشرا مثلنا فقال نوح حصول المساواة في البشرية لا يمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة والرسالة، ثم ذكر الطريق الدال على إمكانه... وحاصل الكلام أنهم لما قالوا :وما نرى لكم علينا من فضل ذكر نوح عليه السلام أن ذلك بسبب أن الحجة عميت عليكم واشتبهت، فأما لو تركتم العناد واللجاج ونظرتم في الدليل لظهر المقصود، وتبين أن الله تعالى آتانا عليكم فضلا عظيما [١].

وشبهة بشرية الأنبياء التي يعتذر بها المخالفون ما هي إلا حجة واهية يتعلقون بها محاولين من خلالها طمأنة نفوسهم ومن حولهم أن النبوة لا تكون في

(١) انظر: التفسير الكبير، الرازي، ١٧/ ٣٣٨.

البشر، بينما لو نظروا في الأدلة والبراهين التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام لعلموا صدقهم ونصحهم، ولتبددت شبهتهم الباطلة.

ولمعرفة حجم هذه الشبهة فإنها قد تكررت كثيرًا في الأمم السابقة كما حكاه الله تعالى عنهم: **﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن: ٥:٦]**

قال الطبري: يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: ألم يأتكم أيها الناس خبر الذين كفروا من قبلكم؛ وذلك كقوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط، فمسهم عذاب الله إياهم على كفرهم... من أجل أنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات، الذين أرسلهم إليهم ربهم بالواضحات من الأدلة والأعلام على حقيقة ما يدعونهم إليه، استكبارا منهم أن تكون رسل الله إليهم بشرا مثلهم، واستكبارا عن اتباع الحق، من أجل أن بشرا مثلهم دعاهم إليه. (١)

ثالثًا: معرفته لحدوده وقدراته.

من الجوانب المهمة المتعلقة ببشرية الأنبياء عليهم السلام أن لقدراتهم حدودًا فهم كسائر البشر في أصل بشريتهم، لهم من القدرات المحدودة التي لا يتجاوزونها إلا بتقدير الله، كالمعجزات والآيات التي أعطوها، وفهم ذلك مهم جدًا، فإذا عُلم أنها من لدن الله وليست من البشر كان تطلبها من البشر معجز مالم يأذن الله بذلك، وهذا ما نجده في قول الله تعالى: **﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [الإسراء: ٩١:٩٣]**

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٢٣/ ٧-٨.

قال الطبري: "يقول: هل أنا إلا عبد من عبيده من بني آدم، فكيف أقدر أن أفعل ما سألتموني من هذه الأمور، وإنما يقدر عليها خالقي وخالقكم، وإنما أنا رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم، والذي سألتموني أن أفعله بيد الله الذي أنا وأنتم عبيد له، لا يقدر على ذلك غيره"[١] وفي ذلك تنبيه أن "الله لا ينزل الآيات على ما يقترحه البشر"[٢] وهنا يدرك الداعية أن ما هو عليه من البشرية يجعله محدود القدرات البشرية، فإن النبي ﷺ مع ما لديه من الآيات والمعجزات لا يمكنه فعل ما طلب منه فكيف بالداعية الذي لا يملك ذلك، وهنا ندرك أن عليه الصلاة والسلام يعلم لحدود قدراته البشرية "فقال لهم "ما أنا بفاعل، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا، وما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم"[٣]

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ١٥/ ٨٧.

(٢) معالم التنزيل، البغوي، ٥/ ١٣٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ١١٩.

المبحث الثالث

الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام المتعلقة بالمدعو وبموضوع الدعوة

المطلب الأول: الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام المتعلقة بالمدعو

كما إن لبشرية الأنبياء عليهم السلام ثمرات متعلقة بالداعية، فثمت ثمرات أيضًا متعلقة بالمدعو، فهو الذي تقدم إليه الدعوة، ومن أجل هدايته واستجابته كانت هنالك دعوة؛ لذا كان من المهم النظر والاستقراء في الثمرات الدعوية المتعلقة به، وهي:

أولاً: قدرته على الاقتداء بالداعية.

من الثمرات بالغة الأهمية المتصلة ببشرية الأنبياء عليهم السلام هي كونهم بشرًا لهم من صفات البشر ما يستطيعون من خلاله رؤية أفعالهم والتأسي بها، فلو كانوا من غير البشر فقد يكون ذلك متعذرًا، وذلك لاختلاف السمات عن سمات البشر، حتى وإن كان هذا الذي من البشر تلبس بصورتهم فقد يعتذرون بأن لديهم من الخوارق والقدرات غير البشرية ما مكنته من فعل ما فعل، قال ابن كثير: " إنما كانوا بشرا، وذلك من تمام نعم الله على خلقه؛ إذ بعث فيهم رسلا منهم يتمكنون من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم"(١).

لذا فإن بشرية الأنبياء هي منة ربانية لعبادة يأخذون عنهم، ويقتدون بهم، قال الله تعالى: **﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٤]**،

وقال تعالى: **﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥١:١٥٢]**، وقال تعالى: **﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُول مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا**

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/ ٣٣٤.

عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوف رَّحِيم فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٩٢:١٨٢]

وقد نازع أهل الضلال في بشرية الأنبياء وزعموا أن الحق في أن تكون النبوة والرسالة في الملائكة، ثم ادعوا أن ذلك هو سبب امتناعهم عن الاستجابة للدعوة، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرا رَّسُولا﴾ [الإسراء: ٩٤]**

لكن الله ﷻ رد شبهتهم عليهم فقال تعالى: ﴿**قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَة يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكا رَّسُولا﴾ [الإسراء: ٩٥]**

"فكيف يبعث إليهم من الملائكة الرسل، وهم لا يقدرون على رؤيتهم وهم بهيئاتهم التي خلقهم الله بها، وإنما يرسل إلى البشر الرسول منهم، كما لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين، ثم أرسلنا إليهم رسولا أرسلناه منهم ملكا مثلهم." (١)

وقال تعالى: **﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٨:٩]**؛ أي: "لو بعثنا إلى البشر رسولا ملكيا لكان على هيئة رجل لتفهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه"(٢) قال القرطبي: "أي لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته إلا بعد التجسم بالأجسام الكثيفة، لأن كله جنس يأنس بجنسه وينفر من غير جنسه، فلو جعل الله تعالى الرسول إلى البشر ملكا لنفروا من مقاربته، ولما أنسوا به، ولداخلهم"(٣)

وفيما تقدم بيان واضح لثمرة كون الأنبياء عليهم السلام من البشر فيستطيع المدعوون التأسي بهم، وهكذا هم سائر الدعاة المقتفون لأثر الأنبياء عليهم السلام يسيرون على نهج دعوتهم، ويلتزمون هديهم، فيستن الناس بهم، ليكونوا لهم قدوة في الخير.

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ١٥/ ٩١-٩٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير،٣/ ٢٤١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٦/ ٣٩٣.

ثانيًا: عدم غلوه بالداعية.

من الأوجه الدعوية المتعلقة بالمدعو في كون الأنبياء عليهم السلام من البشر هو عدم الغلو بهم ورفعهم فوق منزلتهم، فهم كسائر البشر في أصل خلقتهم، يأكلون، ويشربون، وينامون، وينسون، غير أن الله ﷻ اصطفاهم برسالاته ﴿**ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِير**﴾ **[الحج: ٧٥]**؛ أي: "يختار من الناس رسلا مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام"[١] وهذا ما بينه الله ﷻ على لسانه رسوله ﷺ بكل وضوح فلا يدع لأحد مجالًا للشك، قال الله تعالى: ﴿**قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَر مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰه وَٰحِدٞۖ**﴾ [الكهف: ١١٠]؛ "أي: لامتياز بيني وبينكم في شيء من الصفات إلا أن الله تعالى أوحى إلي.."[٢]، والمراد من ذلك أنهم مع شرف مقامهم النبوي الذي شرفهم الله به فهم في الأصل مخلوقون كسائر البشر، فلا نزيد من تعظيمهم بالحد الذي يفوق قدرهم فنقع في تأليههم وإسباغ صفات الربوبية عليهم.

ومما يبين أهمية ذلك، أن هذا المعنى عندما غاب عن النصارى وقعوا بالغلو بعيسى عليه السلام، ﴿**وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ**﴾ **[التوبة: ٣٠]**، "وهذا أشنع الكفر، قال أبو المعالي :أطبقت النصارى على أن المسيح إله وأنه ابن إله."[٣]، مع أن عيسى عليه السلام بشر كسائر البشر ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَاب ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ**﴾ **[آل عمران: ٥٩]**، فإذا قلتم ذلك لزمكم أن تقولوا ذلك عن آدم عليه السلام بل إن آدم عليه السلام من غير أب ولا أم فهو في حسبانكم أولى بذلك من عيسى عليه السلام.

---

(١) معالم التنزيل، البغوي، ٣/ ٣٥٢.

(٢) التفسير الكبير، الرازي، ١٧/ ٣٣٨..

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٨/ ١١٧.

وإذا أُلّه عيسى لمجرد كونه جاء بلا أب، مع اتصافه بالبشرية في سائر صفاته، فكيف لوكان الأنبياء من غير البشر كالملائكة مثلاً، فكيف سيكون غلو الناس بهم، وماذا عساهم أن يصفوهم، فالله ﷻ هو العليم بما يصلح للبشرية.

ثالثًا: أن الحق إذا ظهر له فلا يسعه إلا الاتباع.

من الأمور التي ينبغي للمدعو أن يدركها هي أن الحق إذا ظهر فلا يسعه إلا الاستجابة له، وذلك أن الناس يضلون الحق عند تشبثهم بالشبهات الواهية، وهذا ما بينه الله جل وعز في كتابه: **﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرا رَّسُولا قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَة يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكا رَّسُولا﴾ [الإسراء: ٩٤:٩٥]**

فهذه الشبهة صدت كثيرًا من الناس عن اتباع الحق(١) "وتقرير هذا الجواب أن بتقدير أن يبعث الله ملكا رسولا إلى الخلق، فالخلق إنما يؤمنون بكونه رسولا من عند الله لأجل قيام المعجز الدال على صدقه وذلك المعجز هو الذي يهديهم إلى معرفة ذلك الملك في ادعاء رسالة الله تعالى، فالمراد من قوله تعالى :﴿إذ جاءهم الهدى﴾ هو المعجز فقط فهذا المعجز سواء ظهر على يد الملك أو على يد البشر وجب الإقرار برسالته فثبت أن يكون قولهم بأن الرسول لا بد وأن يكون من الملائكة تحكما فاسدا وتعنتا باطلا."(٢)

وقد تكرر ذلك في كتاب الله، قال الله تعالى: **﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَر يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۖ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيد﴾ [التغابن: ٦]**؛ "أي: بالحجج والدلائل والبراهين "(٣).

وهذا أيضًا يجعل الدعاة مراعين لأن يدرك المدعو أساليب التعنت في قبول الحق، وأن المدعو إن رد الحق مستندًا بذلك لعقله في فحصه، فالحق أبلج يدركه كل من كان له قلب، وأن مثل هذه الأساليب لا تنتهي في الجدال الباطل الذي لا يثمر.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٥/١٢١.

(٢) التفسير الكبير، الرازي، ٢١/ ٤١٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٨/١٣٦.

المطلب الثاني: الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام المتعلقة بموضوع الدعوة

وبعدما تبين ما يتعلق بالثمرات المتعلقة بالداعية والمدعو، فهناك أيضًا ثمرات أخرى مرتبطة بموضوع الدعوة الذي هو مدار تصديق المدعو أو تكذيبه، وهو الغرض الذي يعمل الداعية من أجله؛ لذا كان حريًا بالنظر في الثمرات المتعلقة به، وهي:

أولًا: وضوح الحجة.

من الثمرات المهمة التي تتعلق بموضوع الدعوة، أن يكون الموضوع واضحًا يدركه من سمعه، فيصل إلى المدعو مراد الله تعالى، وهذا من المنن الربانية التي امتن الله بها على عباده، قال الله تعالى: **﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰل مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]**

"نبيًّا من أهل لسانهم، ولم يجعله من غير أهل لسانهم فلا يفقهوا عنه ما يقول"(١)، و﴿**يَتلُواْ عَلَيهِم ءَايَٰتِهِۦ**﴾ "يعني: القرآن بعد ما كانوا أهل جاهلية، لم يطرق أسماعهم شيء من الوحي"(٢).

فإذا كانت الحجة واضحة، فليس للمدعو عذر بعد ذلك يعتذر به، وقد جاء القرآن الكريم بلسان القوم الذي نزل فيهم، فهو باللسان العربي البشري الذي هو لسان البشر الذي نزل فيهم، فلو كان هذا القرآن بلغة لا يفهمها البشر عامة كلغة الطير أو النمل أو لغة غيرها، لكن في ذلك حجة في ردها، لكنها جاءت بلغة البشر الذين نزل فيهم، بل ومن تمام الحجة أن الرسول الذي أرسل فيهم هو من أهل اللغة ذاتها، فيوضح لهم مراد الله تعالى في دينه، قال الله تعالى: **﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِين﴾ [الشعراء: ١٩٢:١٩٥]**

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٦/ ٢١٢.

(٢) محاسن التأويل، القاسمي، ٢/ ٤٥٢.

قال الطبري: "وإنما ذكر تعالى ذكره أنه نزل هذا القرآن بلسان عربي مبين في هذا الموضع، إعلاما منه مشركي قريش أنه أنزله كذلك، لئلا يقولوا إنه نزل بغير لساننا، فنحن إنما نعرض عنه ولا نسمعه، لأنا لا نفهمه، وإنما هذا تقريع لهم"(١)

وقد تكرر مثل هذا المعنى في كتب الله، قال الله تعالى: **﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]**

وقال تعالى: **﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]**

وقال تعالى: **﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨]**

وغيرها من الآيات.

ثانيًا: إدراك خطورة الشبهة على موضوعات الدعوة.

من الثمرات لبشرية الأنبياء المتعلقة بموضوع الدعوة هي التنبه لما يفتريه المشركون على كتاب الله من شتى التهم والأباطيل لينفروا منه، ومنها أنه هذا القرآن المنزل موضوع الدعوة الإسلامية من كلام البشر وليس من كلام الله ﷻ، وهذا مما افتراه الوليد بن المغيرة، قال الله تعالى: **﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدا وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالا مَّمۡدُودا وَبَنِينَ شُهُودا وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدا ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدا سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡر يُؤۡثَرُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾ [المدثر: ١١:٢٥]**

"يعني أنه كلام الإنس، وليس بكلام الله"(٢)، "ولو كان الأمر كما قال لتمكنوا من معارضته، إذ طريقتهم في معرفة اللغة متقاربة"(٣) مع أنه قال ذلك كبرًا وافتراءً، فهو الذي تلذذ لسماعه، وعلم يقينًا أنه ليس ككلام البشر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ١٧/ ٦٤٣.

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ٥/ ٣٩٣.

(٣) التفسير الكبير، الرازي، ٣٠/ ٧٠٧.

ذلك أبا جهل، فأتاه، فقال :يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا، قال :لم؟ قال :ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله، قال :قد علمت قريش أني من أكثرها مالا، قال :فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر لها، أو أنك كاره له، قال :وماذا أقول: فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيره مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمنير أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته قال :لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر، يأثره عن غيره، فنزلت :﴿**ذرني ومن خلقت وحيدًا**﴾"[1].

وقد تنطلي هذه الشبهات على بعض المدعوين لما يسمعونه من صوت الحرف فيقولون هو نحو من صوت حرف البشر، ويغيب عنهم ما في كتاب الله تعالى من إعجاز في لفظه ومعناه، وهذه عادة المبطلين، فهم يكررون ترديد شبهاتهم مع علمهم ببطلانها، قال الله تعالى: ﴿**وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ**﴾ **[الأنبياء: ٣]**

"أراد بالسحر الكلام الذي يتلوه عليكم، والمعنى: أنه لما كان بشرا مثلكم فما تصديقكم لنبوءته إلا من أثر سحر سحركم به، فتأتون السحر بتصديقكم بما يدعوكم إليه"[2]، "وجه إسرارهم بذلك الكلام قصدهم أن لا يطلع المسلمون على ما تآمروا به؛ لئلا يتصدى الرسول ﷺ للرد عليهم؛ لأنهم علموا أن حجتهم في ذلك واهية، يرومون بها أن يضللوا الدهماء، أو أنهم أسروا بذلك لفريق رأوا منهم مخائل التصديق لما جاء به

---

(١) انظر: المستدرك، كتاب التفسير، تفسير سورة المدثر، ٥/٨٠-٨١، ح: ٣٩١٢، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه، المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المنهاج القويم للنشر والتوزيع، سوريا، ط١، ١٤٣٩هـ ٢٠١٨م.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٧/١٤.

النبيء ﷺ لما تكاثر بمكة الذين أسلموا، فخشوا أن يتتابع دخول الناس في الإسلام، فاختلوا بقوم ما زالوا على الشرك وناجوهم بذلك ليدخلوا الشك في قلوبهم"(١)

ثالثًا: افتتان مرضى القلوب بما أنزل.

المدعوون وكما هو معلوم ليسوا على صفة واحدة، ففيهم المقبل والمدبر، وفيهم الراغب بالحق والمعرض عنه، وهكذا كثير الشك والمتيقن، بينما موضوعات الدعوة لا يسع المدعو إلا الإيمان بها، بينما في الإسلام ابتلاء وتمحيص لابد معها من ثبات.

ومثل ذلك قول الله تعالى: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُول وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيم لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَة لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَض وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيد**﴾ **[الحج: ٥٢:٥٣]**، "وللذين في قلوبهم مرض هم المترددون في قبول الإيمان، والقاسية قلوبهم هم الكافرون المصممون على الكفر، والفريقان هم المراد بالظالمين في قوله: وإن الظالمين لفي شقاق بعيد، فذكر الظالمين إظهار في مقام الإضمار للإيماء إلى أن علة كونهم في شقاق بعيد هي ظلمهم، أي كفرهم" (٢)

قيل :إن السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ، أن الشيطان كان ألقى على لسانه في بعض ما يتلوه مما أنزل الله عليه من القرآن، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ، واغتم به، فسلاه مما به من ذلك بهذه الآيات، فعن "محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس، قالا :جلس رسول الله ﷺ في ناد من أندية قريش كثير أهله، فتمنى يومئذ ألا يأتيه من الله شيء فينفروا الله عنه، فأنزل الله عليه :﴿**والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى**﴾ فقرأها رسول الله ﷺ :﴿**أفرأيتم اللات والعزى الثالثة الأخرى**﴾ ألقى عليه الشيطان كلمتين: (تلك الغرانيق العلى، وإن

---

(١) المرجع السابق، ١٣/١٧.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٠٢/١٧.

شفاعتهن لترتجى) فتكلم بها، ثم مضى فقرأ السورة كلها، فسجد في آخر السورة، وسجد القوم جميعا معه، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود، فرضوا بما تكلم به، وقالوا :قد عرفنا أن الله يحيى ويميت، وهو الذي يخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، إذ جعلت لها نصيبا، فنحن معك .قالا :فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام، فعرض عليه السورة، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه، قال :ما جئتك بهاتين، فقال رسول الله ﷺ: افتريت على الله، وقلت على الله ما لم يقل ."فأوحى الله إليه: ﴿**وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره**﴾ إلى قوله: ﴿**ثم لا تجد لك علينا نصيرًا**﴾، فما زال معموما مهموما حتى نزلت ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم**﴾، قال :فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، فرجعوا إلى عشائرهم وقالوا :هم أحب إلينا، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان"(١).

وقد اختلف أهل العلم في تصحيحه؛ لذا قال ابن تيمية:" والذين منعوا ذلك من المتأخرين –أي: نسخ ما يلقي الشيطان– طعنوا فيما ينقل من الزيادة في سورة النجم بقوله :"تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى"، وقالوا :إن هذا لم يثبت، ومن علم أنه ثبت :قال هذا ألقاه الشيطان في مسامعهم ولم يلفظ به الرسول، ولكن السؤال وارد على هذا التقدير أيضا، وقالوا في قوله: **﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]**، هو حديث النفس، وأما الذين قرروا ما نقل عن السلف فقالوا هذا منقول نقلا ثابتا لا يمكن القدح فيه والقرآن يدل عليه.."(٢)، وقال: " لكن ما يبلغه عن الله لا يجوز أن يستقر فيه خطأ، فإنه لو جاز أن يبلغ عن الله ما لم يقله ويستقر ذلك

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٦٧ إلى المصنف وسعيد بن منصور، وانظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ١٦/ ٣٠٢-٣٠٤.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٠/ ٢٩١.

ويأخذه الناس عنه معتقدين أن الله قاله – ولم يقله الله – كان هذا مناقضا لمقصود الرسالة ولم يكن رسولا لله في ذلك"[١].

والمراد من ذلك بيان أن من موضوعات الدعوة ما يكون فيه امتحان وابتلاء لأهل الشك والريب، وأصحاب القلوب القاسية، قال السعدي: فمن كمال حكمته، مكن الشياطين من الإلقاء المذكور، ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة لطائفتين من الناس، لا يبالي الله بهم، وهم الذين في قلوبهم مرض أي: ضعف وعدم إيمان تام وتصديق جازم، فيؤثر في قلوبهم أدنى شبهة تطرأ عليها، فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان، داخلهم الريب والشك، فصار فتنة لهم، والقاسية قلوبهم أي الغليظة، التي لا يؤثر فيها زجر ولا تذكير، ولا تفهم عن الله وعن رسوله لقسوتها، فإذا سمعوا ما ألقاه الشيطان، جعلوه حجة لهم على باطلهم، وجادلوا به وشاقوا الله ورسوله، ولهذا قال: ﴿**وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٍ**﴾؛ أي: مشاقة لله، ومعاندة للحق، ومخالفة له، بعيد من الصواب، فما يلقيه الشيطان، يكون فتنة لهؤلاء الطائفتين، فيظهر به ما في قلوبهم، من الخبث الكامن فيها. [٢]

قال ابن تيمية: "وجعل ما ألقى الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم إنما يكون إذا كان ذلك ظاهرا يسمعه الناس لا باطنا في النفس والفتنة التي تحصل بهذا النوع من النسخ من جنس الفتنة التي تحصل بالنوع الآخر من النسخ، وهذا النوع أدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده عن الهوى من ذلك النوع"[٣].

وإذا تقرر ذلك، وما فيه من الافتتان، وأن ذلك في وقت النبوة، مع ما للنبي ﷺ من العصمة في أمر التبليغ، فكيف لوكان ذلك من قبيل الاجتهادات التي تصدر من الدعاة في موضوعات الدعوة، وما قد يحصل فيه من الافتتان في حال كان اجتهاده في غير موضعه، وكان في ذلك من الفتنة على المدعو، وهو مع ذلك لا

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، ٢/٣٤.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ٥٤٢.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٠/ ٢٩٢.

يسعه إلا اتباع الحق إذا ظهر له ولا يتعذر بما يصدر من الداعية بسبب بشريته من الأخطاء والنقائص، فهم ليسوا بمشرعين، وإنما متبعين أو مجتهدين، وخطأهم في أمر من الأمور لا يسوغ للمدعو التعذر به عن عدم قبول الدعوة، فإذا كان في ما جاء من أمور الدين ما فيه افتتان -كما تقدم- فكيف في أمور هي من قبيل اجتهاد الداعية المعرض للنقص والقصور بسبب بشريته التي تتأثر بأمور كثيرة، وقد يكون ذلك سببًا في قصور اجتهاده إما في الوسائل والأساليب الدعوية، أو الموضوعات المتضمنة لها.

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

ففي ختم هذا البحث أعرض فيه أبرز النتائج والتوصيات التي يسرها الله ﷻ:

أولاً: النتائج:

- إن الأهمية الدعوية للإيمان ببشرية الأنبياء عليهم السلام تظهر من خلال النظر في الأدلة المتوفرة في خطر هذه الشبهة، وكون إنكارها كان سببًا في الصد عن الاستجابة للدعاة إلى الله تعالى من الأنبياء والرسل عليهم السلام، وكونها جاءت في وقت مبكر من التأريخ الدعوي حيث جاءت على لسان قوم نوح عليه السلام.
- إن لإنكار بشرية الأنبياء عليهم السلام صورًا: الصورة الأولى: إنكار أن يكون النبي من البشر بوجه عام، الصورة الثانية: أن تكون النبوة في الملائكة، والصورة الثالثة: أن يكون مع الأنبياء ملائكة، والصورة الرابعة: أن تكون النبوة في العظماء.
- إن عصمة الأنبياء عليهم السلام في التبليغ من المسائل التي أجمع المسلمون عليها، وكذا العصمة من الشرك والكفر، وكذا العصمة من الكبائر، إلا من شذ ممن لا يعتد بخلافه، أما العصمة من الصغائر، فإن السلف على إمكان وقوعهم في الصغائر مع عدم الإقرار عليها والتوبة منها، بينما عصمتهم من العوارض البشرية، فهذه منتفية إذ هي سمة بشريتهم وبها تتبين حقيقتها، كالسهو والغضب، والنسيان، ونحو ذلك.
- إن من أبرز الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام المتعلقة بالداعية ذاته، أولًا: إمكان وقوع الخطأ والزلل منه في دعوته وعدم العصمة في ذلك، ثانيًا: إمكان وقوع الابتلاء في حق الداعية وإن كان من الأولياء، ثالثًا: يتأكد عليه الالتزام بما يدعو إليه.

- إن من أبرز الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام المتعلقة بدعوة الداعية: أولًا: مخالطة الناس ومعرفة حاجاتهم، ثانيًا: وضوح مسؤولياته الدعوية، ثالثًا: معرفته لحدوده وقدراته البشرية.
- إن من أبرز الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام المتعلقة بالمدعو: أولاً: قدرته على الاقتداء بالداعية، ثانيًا: عدم غلوه بالداعية، ثالثًا: أن الحق إذا ظهر له فلا يسعه إلا الاتباع.
- إن من أبرز الثمرات الدعوية لبشرية الأنبياء عليهم السلام المتعلقة بموضوع الدعوة: أولًا: وضوح الحجة كافٍ للاستجابة، ثانيًا: إدراك خطورة الشبهة على موضوعات الدعوة، ثالثًا: افتتان مرضى القلوب بما أنزل.

ثانيًا: التوصيات:

- أوصي العاملين في حقول الدعوة إدراك أهمية تأثر المدعو بأسلوب القدوة في الدعوة إلى الله وهذا ما تبين في هذه الدراسة من خلال قدرة المدعوين على الاقتداء بالأنبياء لكونهم من البشر يمكن لهم ذلك.
- أوصي الباحثين في مجال الدعوة توجيه دراساتهم نحو النظر في حجج المعارضين لدعوات الأنبياء والرسل والأساليب الشرعية في معالجتها.
- أوصي الباحثين في مجال الدعوة القيام بإعداد دراسات ميدانية للكشف عن حجج المعارضين المعاصرة على أن تكون مبرزة للأسباب الدافعة إن وجدت للعمل على معالجتها.

المصــادر والمراجِــع

- القرآن الكريم.
- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، دمشق – بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، ط٥، ١٤٤١ هـ – ٢٠١٩م.
- بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، ط٥، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية، تونس، ط ١٩٨٤م.
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
- تفسير الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣ هـ.
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
- تفسير القرآن الكريم –سورة الفرقان–، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٦هـ.
- التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار هجر، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ.
- جامع الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٧هـ.
- جامع الرسائل، لابن تيمية، المحقق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء – الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
- جامع المسائل، لابن تيمية، دار عطاءات العلم (الرياض) – دار ابن حزم (بيروت)، ط٢، ١٤٤٠ هـ – ٢٠١٩ م.
- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، دار العاصمة، السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، دار الفيحاء، عمان، ط٢، ١٤٠٧ هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل الجوهري، دار العلم للملايين، ط١، ١٤٠٤هـ.
- صحيح البخاري، للبخاري- دار ابن كثير- دار اليمامة – دمشق- ط٥، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب، ط١، ١٤١٢هـ.
- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١، – ١٤١٤ هـ.
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال ط(بدون).

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، دار الريان للتراث، القاهرة – دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن إبراهيم الثعلبي، دار التفسير، جدة – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥م.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ
- مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله وساعده: ابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة ،١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨ هـ
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المنهاج القويم للنشر والتوزيع، سوريا، ط١، ١٤٣٩هـ ٢٠١٨م.
- معالم التنزيل، محمد الحسين البغوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، م عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط ١٣٩٩هـ.
- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، دار القلم، الدار الشامية، دمشق– بيروت، ط١، ١٤١٢هـ،
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢.